

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 4 (2009) : 25 – 35
www.univ-ghardaia.dz/index.php/dz/component/content/article?id=130

محددات اختيار موضوع بحث علمي في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية

أ/ عمر مرزوقي قسم العلوم السياسية جامعة المسيلة

إن عملية البحث العلمي هي مجهود فكري منظم، يقوم على دراسة المشاكل التي يعانيها الإنسان والمجتمع دراسة موضوعية، قوامها تعبير البيانات عن الواقع المدروس بصورة صحيحة بعيدة عن التحيز، والبحث العلمي الرصين هو الطريق نحو النهضة والتقدم الذي تستهدفه جامعاتنا ومراكز البحوث والمجتمعات المعاصرة، مما يثير العديد من التساؤلات حول الأسس والقواعد والمناهج والأدوات التي يرتكز عليها، لذا فلا شك في ضرورة وأهمية تزويد الباحثين والطلاب في العلوم الإنسانية والاجتماعية عامة وتعريفهم بتلك الأسس والمناهج والأدوات البحثية الرئيسة التي تفرضها العملية البحثية بشكل عملي واضح يركز على الخطوات الفعلية أكثر من اهتمامه بالجدل النظري الذي يميز الكثير من الكتابات في هذا الشأن حتى يتوفر لدى الباحثين والطلاب الوضوح الكامل للخطوات والقدرة على التقييم والتصحيح والنقد لتلك الأسس والأدوات والمناهج، والقدرة على فهم العالم المحيط بنا، وهو عالم آخذ في التغير والتعقيد بشكل لا يتوقف، هذا الفهم قد يكون هدفا في حد ذاته، أو قد يكون مقدمة لتوقع التغيرات المقبلة، والأحداث والتطورات قبل وقوعها، أحيانا قد يكون الهدف السيطرة على تلك الأحداث والتطورات والتحكم في الواقع المحيط بنا.

على العموم فإن البحث العلمي هو استقصاء منظم، يهدف إلى إضافة معارف يمكن

توصيلها والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي[1].كما يمكن تعريفه بأنه وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح المعلومات الموجودة فعلا...على أن يستعمل في هذا الفحص والاستعلام خطوات المنهج العلمي واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات[2]. على الرغم من تعدد التعاريف فإنه يمكن القول بأن البحث العلمي هو سعي منظم في ميدان معين يهدف إلى اكتشاف الحقائق والمبادئ[3]. إن من شروط البحث العلمي من خلال التعريف السابق هو التنظيم المتسلسل الخطوات، بحيث أورد العديد من الباحثين في هذا الشأن بأنه نشاط فكري في خطوات مرتبة ومتسلسلة وفق نظام معين وخطة مرسومة[4]. إن خطوات البحث العلمي في تسلسلها المترابط مثل قطع القرميد في توصيل مياه الأمطار إلى بعضها البعض، من أعلى السقف إلى أسفله بحيث لا يمكن للباحث الانتقال من خطوة إلى أخرى إلا بعد التأكد من صحة الخطوات السابقة وسلامتها، لأن كل مرحلة في مشروع البحث العلمي تقرر طبيعة المرحلة الموالية.

ونستخلص مما سبق أن البحث العلمي هو خطة عامة أو إستراتيجية تتضمن مراحل يتم قطعها لانجازه، والدارس في انجازه لبحثه لابد له من معرفة ما هو بصدد البحث عنه حتى يتمكن من ضبط الخطوات اللازمة لذلك في إطار وضع الخطة المناسبة واختيار الأدوات البحثية الكفيلة بانجاز هذه الأخيرة.

من هذا المنطلق فإننا لما نريد القيام ببحث علمي في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية فإننا نهدف إلى التعمق في موضوع تم اختياره، هذا الاختيار يعتبر أولى مراحل البحث العلمي وأكثرها صعوبة إذ يتوقف على نجاحه نجاح باقي المراحل الأخرى، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: ما هي المحددات والمقاييس المتحكمة في اختيار بحث علمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية؟ ومن اجل الإجابة عن هذه الإشكالية وبغرض ترشيد عملية الاختيار هاته سنتطرق لبيان المقاييس والمحددات المتحكمة في ذلك، فهناك محددات ذاتية متصلة خاصة بنفسية الباحث ومدى استعداده وقدراته ومكناته العقلية

والعلمية، ونوعية تخصصه العلمي ومركزه العملي والمهني وكذا ظروفه الاقتصادية والاجتماعية، هذا من جهة ومن جهة ثانية نجد جملة المحددات العلمية الموضوعية المتمثلة في القيمة العلمية للموضوع محل البحث وأهداف ومحاور سياسة البحث العلمي للهيئات والمؤسسات العلمية التي تشرف رسميا على عملية البحث العلمي ونوعية ومكانة البحث بين أنواع البحوث والدراسات العلمية الأخرى إضافة إلى مدى توفر الوثائق والمراجع اللازمة لذلك. هذه جملة المعايير والمقاييس الذاتية والموضوعية المحددة لعملية اختيار موضوع بحث علمي عامة وفي ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية بصفة خاصة، والتي سأتطرق إليها بالتفصيل الدقيق فيما يلي:

كيفية اختيار بحث علمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية: تعتبر عملية اختيار موضوع بحث علمي من أولى مراحل إعداد البحث العلمي والأكثر دقة وصعوبة، نظرا لتعدد واختلاف عوامل ومقاييس الاختيار، حيث توجد عدة معايير ومقاييس ذاتية وعقلية واقتصادية واجتماعية ومهنية، وموضوعية علمية وقانونية وإدارية تتحكم في عملية اختيار موضوع البحث العلمي بصفة عامة 5. ومن أجل ترشيد عملية اختيار موضوع البحث العلمي وتوجيه الباحثين الناشئين وإرشادهم في هذا الإطار، يجب التطرق إلى بيان العوامل والمعايير الذاتية والموضوعية التي تقود وتتحكم في ذلك.

أولا: العوامل والمعايير الذاتية لاختيار موضوع البحث العلمي: تسود عملية اختيار موضوع بحث علمي عدة عوامل متصلة خاصة بنفسية الباحث ومدى استعداداته العلمية ونوعية تخصصه العلمي وطبيعة تخصصه العملي المهني وكذا ظروفه الاجتماعية والاقتصادية.

1- عامل ومعيار الميول النفسي في اختيار موضوع البحث العلمي: بمعنى الميل والقدرة على تفضيل موضوع دون غيره من الموضوعات ليكون محل الدراسة ومحور البحث، مما يحقق الاندماج والارتباط العاطفي بين الباحث وموضوع البحث العلمي، الأمر الذي يؤدي إلى تحقيق وتوفير عدة مزايا وتوليد مكنات الإبداع والخلق، والمثابرة والصبر والتحمس المعقول والإخلاص المطلق لموضوع البحث العلمي الذي

يقوم بإعداده.فإذا كانت عملية البحث العلمي عملية شاقة وقاسية، تتطلب التضحية بالوقت والمال والجهد الفكري والاجتهاد وبقوة الحواس، وكذا التضحية بملذات الحياة النفسية والاجتماعية، فان عامل احترام الرغبة النفسية الذاتية للباحث في اختيار موضوع البحث العلمي الذي سيضطلع بإعداده، يؤدي إلى خلق عنصر الارتباط النفسي والعاطفي، الأمر الذي يولد لديه روح القبول النفسي التلقائي لكافة ضروب التضحية من اجل إعداد بحثه العلمي إعدادا علميا مميزا. فعامل ومعيار الرغبة النفسية الذاتية في اختيار موضوع البحث يعتبر مقياسا هاما يجب على الباحث العلمي والأستاذ المشرف ومؤسسات التكوين العالي والبحث العلمي احترامه بعناية6.

2- عامل ومعيار القدرات الذاتية:يجب أن تكون لدى الباحث العلمي استعدادات وقدرات ذاتية تمكنه من إعداد بحثه وفقا لقواعد وإجراءات وشروط المنهجية العلمية المطلوب احترامها، كما يجب أن يتأكد كل من الباحث العلمي والأستاذ المشرف من مدى ملائمة وتناسب استعدادات وقدرات الباحث المختلفة مع الموضوع المختار، لضمان الانطلاقة المنطقية والسليمة والموضوعية لإنجاز البحث العلمي7.ومن بين القدرات والاستعدادات الذاتية التي يجب توافرها ما يلي:

- **القدرات العقلية التي تجعل الباحث قادرا على التعمق والفهم الجيد والتحليل والمقارنة والاستنتاج في معالجة ودراسة جوانب الموضوع المختلفة8، ويكتسب الباحث هذه القدرات بواسطة سعة الاطلاع وكثرة القراءة والتفكير والتأمل في شتى الوثائق والمراجع والمصادر المتعلقة بالموضوع، ومن سنوات الدراسة المتخصصة التي أهلته لإعداد البحث العلمي ومن تجارب الحياة العلمية والمهنية في بعض الحالات، وكذا من مصادر الثقافة والمعرفة المختلفة09.**
- **الصفات والأخلاقيات التي يجب توافرها في الباحث العلمي مثل هدوء الأعصاب وقوة الملاحظة، وشدة الصبر والاحتمال، والموضوعية والشجاعة وقدرة التضحية ومواهب الخلق والابتكار وغيرها من الصفات التي يجب التأكد من مدى**

وجودها وتنميتها في روح الباحث العلمي، وذلك بهدف تحقيق عناصر ومقومات الملائمة بين قدرات واستعدادات الباحث ونوعية وطبيعة الموضوع المختار للبحث10.

- **القدرات الاقتصادية هناك أنواع من الموضوعات تتطلب من الباحث قدرة مالية معتبرة أثناء القيام بها مثل إجراء التجارب والترحال لاقتناء الوثائق والمصادر، والاستبيان والقيام بمقابلات، وتصوير الوثائق، لذا يجب الاستناد إلى معيار القدرة الاقتصادية في اختيار الموضوع، ومراعاة هذا المعيار جيدا وبعناية من طرف الباحث العلمي نفسه، وكذا الأستاذ المشرف ومؤسسات البحث العلمي11.**
- **الاستعدادات والقدرات اللغوية تتحكم قدرات الباحث اللغوية في اختيار موضوع البحث العلمي، حيث هناك دراسات مقارنة تتطلب الدراسات المقارنة التي تتطلب من الباحث أن يجيد العديد من اللغات، كما توجد موضوعات مصادرها ومراجعها مكتوبة بلغات أجنبية، الأمر الذي يحتم الأخذ في الحسبان هذا المعيار بعناية فائقة12.**
- **الوقت المتاح حيث تتحكم مدة الوقت اللازمة لانجاز البحث العلمي في اختيار نوعية موضوع البحث العلمي حيث فترات زمنية مقررة رسميا وواقعيا لانجاز أنواع معينة من البحوث(مذكرة الليسانس، رسالة الماجستير، أطروحة الدكتوراه)، كما أن عامل الوقت يعد معيارا لاختيار نوعية وطبيعة البحث العلمي الذي سيكون محل الدراسة والبحث، وهذا ما يجب مراعاته حتى يمكن اختيار الموضوع الذي يعطيه الوقت المقرر بصورة كافية وسليمة، وحتى يستطيع الباحث إعداد البحث في ظروف زمنية جيدة وملائمة.**

3- عامل ومعيار التخصص العلمي: يتحكم عامل التخصص العلمي للباحث نوعية وطبيعة موضوع البحث فالباحث في مجال العلوم الطبيعية أو الإنسانية يختار موضوع البحث في إطار التخصص العام، ثم تضيق دائرة التخصص والاختيار داخل التخصص، فعامل التخصص هذا أساسي في اختيار موضوع البحث العلمي، إذ يجب أن يحترم بعناية وجدية من طرف الباحث والمشرف على حد سواء 13.

4- عامل ومعيار التخصص المهني: تتحكم وتؤثر طبيعة ومركز العمل والتخصص المهني للباحث في عملية اختيار الموضوع ونظرا لأسباب ذاتية صرفة يتم اختيار موضوع البحث العلمي في حدود الوظيفة، حتى يعمق معارفه، ويزيد معلوماته حول مهنته أو وظيفته، وحتى يستغل نتائج بحثه في تطوير نفسه مهنيا بصورة تتيح له الرقي والتطور، فالأستاذ الجامعي يختار موضوعاته وفق اهتماماته البحثية، وكذا المحامي والأديب والمرشد الاجتماعي والموظف الإداري و...الخ فعامل التخصص العملي والمهني يلعب دورا كبيرا في تحديد نوع وطبيعة موضوع البحث العلمي الذي سيختاره الباحث، مما يستوجب على جميع القائمين على العملية البحثية مراعاة واحترام ذلك بكل عناية وجدية والتزام.

ثانيا: العوامل والمعايير الموضوعية لاختيار موضوع البحث العلمي: بالإضافة إلى العوامل والمعايير الذاتية، هناك جملة من المعايير الموضوعية التي تتوقف عليها عملية اختيار موضوع البحث العلمي، والتي سنتطرق إليها فيما يلي :

1- عامل ومعيار القيمة العلمية لموضوع البحث: إن القيمة العلمية لموضوع البحث العلمي وقيمة نتائجه في الحياة العملية، وحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية القائمة، تتحكم في عملية اختيار الموضوع البحثي[14].انطلاقا من القيمة العلمية النظرية والتطبيقية، وفقا لجملة من المقاييس الموضوعية المنبثقة من طبيعة التخصص العلمي، وكذا القيم والفوائد المرجوة من نتائج هذا البحث على المستويين العلمي والعملي[15]، بمعنى ما هو الجديد العلمي الذي سيضيفه هذا البحث وما هي الحلول العملية للمشاكل المطروحة في الحياة العامة، حيث يتعاون كل من الباحث والمشرف والمؤسسات العلمية المختصة في انتقاء المواضيع البحثية ذات القيمة العلمية الجديرة بالبحث والدراسة.

2- عامل ومعيار أسس وأهداف البحث العلمي: نظرا لارتباط البحث العلمي بكل أنواعه ومستوياته بالحياة العامة داخليا وخارجيا، وارتباطه كذلك بكل ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للدولة، توجد سياسات بحثية عامة

وخاصة منبثقة أساسا من هذا الارتباط السالف الذكر، لذا فان عامل وجود سياسة وطنية ودولية للبحث العلمي تقوم كمعيار لاختيار موضوع بحث علمي.

والدولة الجزائرية تتبنى في مواثيقها وسياساتها وبرامجها العامة ومخططاتها الوطنية مبدأ ارتباط وتكامل عمليات التكوين والبحث العلمي ومتطلبات الحياة العامة وبرامج وسياسات التنمية الوطنية في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ومن ثم كان على مؤسسات التكوين والبحث العلمي والأستاذ المشرف والباحث العلمي الأخذ بعين الاعتبار عند اختيار موضوع بحث علمي أسس وأهداف ومحاور سياسة البحث العلمي في الجزائر، دون التضحية بقيم حرية الفكر والحياة العلمية في الوطن، ودون التضحية بقيم التفتح على عالم الخلق والإبداع الإنساني العالمي[16].

3- عامل ومعيار مكانة البحث العلمي بين أنواع البحوث الأخرى: قد يكون البحث العلمي مقدما للحصول على شهادة الليسانس في بعض التخصصات، أو في صورة رسالة ماجستير، وقد يكون على شكل أطروحة دكتوراه، كما يمكن أن يكون في شكل بحوث علمية مقدمة للحصول على شهادة التخرج في مجال التكوين المهني والتمهين، وقد يكون في صورة بحوث علمية مقدمة للترقية في بعض الوظائف والدرجات العلمية والمهنية، وتختلف بطبيعة الحال هذه البحوث كلها سواء من حيث القيمة العلمية، أو من حيث طريقة إعدادها وحجمها. إن نوعية ومكانة البحث المزمع إعداده بين أنواع البحوث العلمية والدراسات الأخرى، تتحكم في تحديد موضوع البحث العلمي المراد إعداده.

4- عامل ومعيار مدى توفر المادة العلمية للبحث: تبدو مسالة توفر الوثائق والمستندات والمراجع العلمية اللازمة لإعداد بحث علمي أكاديمي قيم في غاية الأهمية، لأنه كثيرا ما تتحكم هذه المسالة في تحديد نوعية موضوع البحث العلمي، فهناك الموضوعات النادرة المراجع والمصادر، نتيجة حداثتها أو لأسباب موضوعية أخرى، مما يصعب من دراستها، ويعد البحث فيها مغامرة علمية غير مضمونة النتائج، كما توجد الموضوعات الغنية بالمراجع والوثائق العلمية، التي تغري بدراستها

والبحث فيها من خلال بحث ونقد وتحليل كل ما ورد حولها من بيانات. لأن عدم توفر الوثائق والمصادر العلمية المتضمنة لكافة جوانب وحقائق الموضوع، لا يمكن الباحث من التحليل العلمي اللازم لدراسة الموضوع.

لذا يجب احترام معيار مدى توفر المادة العلمية من مراجع ووثائق وبيانات علمية متعلقة بموضوع البحث العلمي، المختار من طرف الباحث العلمي والأستاذ المشرف والهيئات العلمية المختصة والقائمة على العلمية البحثية ككل.

الخاتمة والتوصيات:

يتميز ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية بالاتساع وبتعدد مواضيع البحث، لكن قبل إجراء الاختيار في هذا الزخم الكبير من المواضيع الممكنة ينبغي على الباحث مراعاة جملة العوامل والمقاييس الذاتية والموضوعية المتحكمة في عملية اختيار موضوع البحث العلمي بدقة وعناية وجدية، لان مرحلة الاختيار هي نقطة البداية وأولى مراحل البحث العلمي وأكثرها صعوبة، إذ يتوقف على نجاحها نجاح باقي المراحل الأخرى، ولنجاحها ونجاح العملية البحثية ككل يجب الأخذ في الحسبان جملة الاعتبارات النمطية في الاختيار، وكذا ضرورة توافر الشروط الموضوعية اللازمة لذلك من (حداثة الموضوع وعدم تكراره مع وجود رغبة نفسية لدراسته، توافر الإمكانات المادية المتاحة والظروف الخاصة الملائمة، توافر المادة العلمية، الاختيار يكون في مجال التخصص العلمي والمهني الذي يساعد عل التعرف على المشكلات والبحث في حلها، جدية موضوع البحث وأهميته؛ أي أن يكون موضوع البحث مرتبطا بالمشكلات الموجودة في المجتمع أو بأحد فروع مجالاته المعرفية... الخ).

واختيار الموضوع في الواقع هو مهمة الباحث العلمي في الأساس إلى جانب المشرف والذي يطرح على نفسه عدة أسئلة قبل تحديد موضوع بحثه وهي:

- هل يستحق هذا الموضوع أن أبذل فيه جهدا ؟
- هل من الممكن كتابة بحث حول هذا الموضوع ؟
- هل في طاقتي أنا أن أقوم بهذا العمل العلمي ؟

– هل أحب هذا الموضوع وأميل إليه ؟

– ما الذي أطمح إلى بلوغه ؟

ما فيما يخص جملة التوصيات التي يمكن أن نرفعها من خلال هذه المداخلة فيمكن تقسيمها كما يلي:

على مستوى هيئات ومؤسسات البحث العلمي:

– ضرورة أن تواكب سياسة وأهداف ومحاور البحث العلمي مقتضيات ومتطلبات الحياة الاجتماعية داخليا وخارجيا، وتلتزم مؤسسات البحث والتكوين الوطنية بتوجهات البحث العلمي الوطنية والعالمية، مواكبة بذلك التطورات والاكتشافات العلمية الحاصلة على المستوى الدولي، وضرورة الأخذ بما هو جديد ومفيد من مناهج ونظريات علمية حديثة للوصول إلى نتائج بحث علمي قيم وحديث، وليس مجرد تكرار لما تم دراسته من طرف باحثين عرب كانوا أم غربيين.

– ضرورة التوفيق بين متطلبات سياسات البحث العلمي لدى مؤسسات البحث والتكوين العلمي، إذ يجب اعتماد قائمة الموضوعات المتخصصة والمنتقاة والمدروسة بعناية ودقة في كل فرع من فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويترك بعد ذلك للرغبة النفسية للباحث العلمي حرية التحرك والاختيار، كما يمكن تبني الموضوعات المنتقاة من طرف الباحث مباشرة في نطاق عمليات التوجيه والتبصير والترغيب المختلفة من لدن الأستاذ المشرف، على أن لا تخرج على الإطار العام للسياسة البحثية الوطنية المتبعة.

– ضرورة تفعيل مثل هذه المبادرات العلمية القيمة، التي تمثل فضاء فكريا خصبا لالتقاء الأفكار وتبادل الآراء حول موضوع المنهجية وأساليب البحث العلمي، الذي يكتسي أهمية بالغة بالنسبة للجامعة الجزائرية، لان تحديث العقل وتجديد الذهنية أصبحا ضرورة ملحة لمسايرة تطور الفكر العلمي، والمساهمة في إثرائه.

على مستوى فروع وتخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية:

– ضرورة توحيد برامج مقياس المنهجية في كل فرع من فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية في مؤسسات البحث والتكوين العلمي العالي، والعمل على احترام هذا البرنامج من طرف الأساتذة المدرسين، إلا أن هذا لا يمنع وجود بعض الاجتهادات الخاصة التي يجب أن لا تخرج عن المحاور الأساسية للبرنامج الرسمي المقرر.

– ضرورة التنسيق الجيد والفعال بين الأساتذة المحاضرين والأساتذة المطبقين في مقياس المنهجية مما يساعد على توحيد الفكر والفهم، وتثبيت الطريقة السليمة والصحيحة التي يجب على الطلبة الباحثين إتباعها لإعداد بحث علمي أكاديمي جيد، وفق الطريقة المنهجية السليمة.

– ضرورة التنسيق التام بين الباحث والأستاذ المشرف أثناء عملية اختيار الموضوع وفي المراحل اللاحقة لإعداد بحث علمي، والتشاور معه، والاستفادة من خبرته في المجال، ليضمن بان بحثه يسير سيرا منتظما وسليما.

– توجيه الباحثين لاختيار مواضيع بحوث علمية قادرة على إعطاء حلول للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وإضافة الجديد على المستوى العلمي والعملي.

الهوامش

1- محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي (ط1؛ الجزائر: دار هومة، 1997)، ص26.

2- عمار عوابدي، مناهج البحث العلمي وتطبيقاته في العلوم القانونية والإدارية (ط3؛الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية، 1999)، ص18.

3- احمد بن مرسلي، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال (ط1؛ الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية، 2003)، ص12.

4- المرجع نفسه، 12

5- محمد شلبي، كيف تكتب بحثا أو رسالة (ط9؛القاهرة:مكتبة النهضة المصرية، 1976)، ص31–40.

6- عمار عوابدي، مرجع سبق ذكره، ص38

7- محمد شلبي، كيف تكتب بحثا أو رسالة، مرجع سبق ذكره، ص34، 35.

8- عما بوحوش، دليل الباحث المنهجي في كتابة الرسائل الجامعية (الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985)، ص11، 12.

9- عمار عوابدي، مرجع سبق ذكره، ص41.

10- المرجع نفسه، 12

11- محمد شلبي، كيف تكتب بحثا أو رسالة، مرجع سبق ذكره، ص35.

12- المرجع نفسه، ص35

13- عمار عوابدي، مرجع سبق ذكره، ص44.

14- محمد شلبي، كيف تكتب بحثا أو رسالة، مرجع سبق ذكره، ص33.

15- عمار عوابدي، مرجع سبق ذكره، ص48.

16- المرجع نفسه، ص50.